# رحلاتى وأسفارى

## (١) سفرى إلى تركيا

### ٣٠-٧-٣٤ إلى ١٩-٨-١٩٣٤

فى ٣٠ / ٧ / ١٩٣٤ سافرت إلى الخارج ولأول مرة فى رحلة إلى تركيا مع فريق من جوالة الشبان المسلمين برئاسة الأستاذ الوقور الشيخ عبد الوهاب النجار وكيل المركز العام لجمعيات الشبان المسلمين واستغرقت الرحلة المدة من ٣٠ / ٧ / ٣٤ إلى ١٩ / ٨ / ٣٤ وضم الفريق الأساتذة مهنى سالم مهنى ( محام مختلط بالإسكندرية ) مصطفى فهمى ( بقلم قضايا بلدية الإسكندرية ) فهمى العلايلى ( تاجر أخشاب بالإسكندرية ) عبد الرحمن عمارة ( وكيل القسم المالى بالإسكندرية ) عبد الغنى مدين ( مدرس بمعهد إسكندرية الدينى ) حسين عطية ( مهندس ميكانيكى بمدرسة محمد على الصناعية ) أحمد صبحى جنينه ( مدرس بمدرسة رأس التين الثانوية ) عبد السلام أنور ( مدرس بمدرسة المعلمين ببنى سويف ) شاهين حمزة ( موظف بوزارة المواصلات بالقاهرة ) عزيز بكير ( موظف بحسابات محافظة إسكندرية ) صلاح الدين الباقر ( مدرس بشبرا الثانوية ) محمود الجروانى ( مدرس بالتجارة المتوسطة بالإسكندرية ) عبد الحميد عبد المنعم ( مهندس صوت بشركة مصر للسينما بالقاهرة ) عبد الفتاح صقر ( مدرس بمعهد طنطا ) محمد إبراهيم لطفى ( موظف ببريد الإسكندرية ) محمد مرسال ( بحسابات محكمة اللبان الأهلية ) عصام محمد سليمان ( طالب ثانوى ) حسين كامل السلانيكى ( أمين محفوظات وزارة الخارجية ) محمد حامد حمزة ( طالب بدار العلوم ) أحمد على ( مدرس بمعهد التربية بالقاهرة ) وأنا وكنت وقتئذ مدير حسابات شركة المقاولات - نصير ) .

**يوم الاثنين :**

وفى ذلك اليوم أقلعت بنا الباخرة التركية ( إيجه ) ميناء الإسكندرية بعد الظهر وودعنا على رصيف الميناء كشافة الشبان المسلمين بالإسكندرية بالأناشيد الوطنية وتمنياتهم لنا بسلامة الوصول والعودة ( والباخرة إيجه ) من البواخر التركية الكبيرة ونظيفة ومريحة وطاقمها وديع مؤدب ومعظمهم مسلمون ولكنهم لايتكلمون العربية .

**يوم الأربعاء :**

وفى ١ / ٨ / ٣٤ ظهراً رست الباخرة على رصيف بريه ميناء أثينا عاصمة اليونان ويربطها بها ترام تحت الأرض ركبناه وقطعنا المسافة بين الميناء والعاصمة فى حوالى خمس عشرة دقيقة . ولضيق الوقت لم نتمكن من زيارة بعض معالم المدينة زيارة عابرة فشاهدنا الأوكروبول من الخارج حيث كان مغلقاً ثم تناولنا الغداء بفندق إيلاس ( من أشهر الفنادق بأثينا وعدنا ثوًّا إلى الباخرة حيث كان من المقرر أن تقلع بنا الساعة الرابعة .

**يوم الخميس :**

وفى ٢ / ٨ / ٣٤ وصلت بنا الباخرة إلى أزمير وبها زرنا متحف كنيسة « أرم » وميدان الجمهورية يتوسطه تمثال مصطفى كمال يمتطى جواداً ويشير بسبابته إلى البحر فى حالة توثب إليه رمزاً لحرب الأناضول التى شنتها تركيا بقيادته لطرد اليونان منها . واتسع وقتنا لزيارة إدارة جريدة « العهد الجديد » وحوالى الساعة الثالثة والنصف غادرنا أزمير ( ذات المبانى الجميلة المدرجة فى الارتفاع فوق الجبل فى شكل بديع وذات الطرقات الفسيحة النظيفة المرصوفة فى طريقنا إلى اسطمبول . ومن حسن حظنا أن تقابلنا على ظهر الباخرة مع طلبة من الكلية الحربية التركية كانوا عائدين من اجازاتهم ، وسرعان ماتم التعارف بيننا وبينهم وتبادلنا الأناشيد الوطنية وكان مما أنشدناه نشيد « اسلمى يامصر » ومرت بنا الباخرة فى المساء بجزيرة « صافس » التى بدت فى ظلام الليل بأنوارها المتلالئة كأنها النجوم فى الأرض .

**يوم الجمعة :**

وفى ٣ / ٨ / ٣٤ دخلت الباخرة بوغاز الدردنيل وهو ضيق يكاد يكون فى عرض نيل مصر ومرت فى سيرها بجنان قلعة « ثم بضاحية مشعل كى » أى الغيط الأخضر جنوب غرب اسطمبول ثم بدت لنا العاصمة بمبانيها المتدرجة فى الارتفاع فوق الربا تحيطها الحدائق الغناء والنباتات المتسلقة ومآذنها العالية فى منظر بديع ساحر ثم دخلت الباخرة تتهادى ( بوغاز البوسفور ) وألقت مراسيها فى تمام الساعة الرابعة ووجدنا فى انتظارنا موظفى القنصلية المصرية الذين استقبلونا بالتحية والترحاب وسهلوا لنا كل إجراءات الجمرك ونقلوا أمتعتنا بإحدى اللوريات الكبيرة إلى سراى المغفور لها أم المحسنين « بيبك » حيث وقع اختيار السلطات عليها لإقامتنا بها مدة الرحلة . وكان من بين المستقبلين صديقى العزيز الدكتور حسنى مورو الذى رافقنا مشكورا ولم يتركنا حتى استقر بنا المقام بالسراى ونصبنا خيامنا بين أشجار ضخمة

وأخرى متسلقة على مرتفع مدرج على البوسفور وماأبدعه من موقع مريح خلاب . وتفضلت البرنسيسة خديجة هانم وأمرت بإعداد طعام العشاء لنا على حسابها الخاص وكان مكونا من فطائر محشوة باللحوم وباذنجان وبطيخ فأكلنا بشهية هنيئا مرئيا وبعد استراحة قليلة نمنا نوماً هادئا عميقاً بعد عناء السفر .

**يوم السبت :**

وفى ٣٤/٨/٤ بعد تناول الفطار وتحية العلم قصدنا دار القنصلية المصرية وسعدنا بمقابلة وزيرنا المفوض الأستاذ عبد الملك حمزة بك والقنصل وصفى بك وجراح مصر الكبير الدكتور على إبراهيم باشا الذى تصادف وجوده بالقنصلية . وبعد تبادل التحيات وأطيب التمنيات توجهنا إلى قبر الجندى المجهول ووضعنا عليه باقة كبيرة من الزهور ثم زرنا المعرض المقام فى سراى « غيطه » ولاحظنا أن أسعار المعروضات المختلفة مرتفعة ثم قصدنا مطعم « جمال بك » لتناول الغداء ومما لفت نظرنا النظافة والأناقة ونشاط وأدب العاملات التركيات ومعرفتهن لأكثر من لغة .

**يوم الأحد :**

وفى ٣٤/٨/٥ قمنا بنزهة بحرية فى البوسفور وهو طويل كثير التعاريج ومن المناظر المألوفة أن كثيراً من المنازل الواقعة على شاطئه لها جراجات بحرية للقوارب التى يستخدمها سكانها فى تنقلاتهم . ومرت بنا الباخرة على « قلعة الفاتح » ثم سراى الخديو عباس على الشاطئ الأسيوى » وسراى إسماعيل التى تقابلها على الشاطئ الأوروبى ثم رست بمحطة « صاريا » قبيل نهاية البوسفور وركبنا عربات خفيفة تجرها خيل تسع الواحدة خمسة أشخاص وذهبنا إلى هنكارسو وتناولنا طعام الغذاء فى مطعم تظلله الأشجار فوق مرتفع مغطى بالخضرة ويطل على التقاء البوسفور بالبحر الأسود . وتتوسط المكان « نافورة تصل إليها المياه داخل مواسير من ينابيع باردة كالثلج – ويستخدمونها كما نستخدم نحن الثلاجة يحفظون بها البطيخ والفواكه والقوارير ببرودتها ويسحبون منها الماء عند الطلب وكان جوًّا شاعرياً تخلله الغناء واللعب على الناى والضرب على الكمان والنقرزان من نفر من الزائرين . وعدنا إلى الباخرة حوالى الساعة الثالثة والنصف واتجهت إلى « روملى كوان » وهناك بمقهى « أونوربير » تناولنا الشاى وعدنا حوالى الساعة الخامسة والنصف إلى « غلطة » حيث وصلناها بالباخرة حوالى الساعة السابعة وكان صديقى الدكتور حسنى مورو قد دعانى أنا وشقيقى أحمد لتناول العشاء فى أتويل بارك . أفخم فندق فى اسطمبول ويقع فى حى « تقسيم » وهو المكان المحبب للغازى كمال أتاتورك يقصده كلما أراد الترويح عن نفسه ، وتناولنا العشاء الفخم بين سماع الأوركسترا ومشاهدة الرقص حتى الساعة العاشرة والنصف ثم عدنا بالترام إلى « كاراكى » ومنها إلى بيبك حيث مخيمنا بالسراى .

**يوم الاثنين :**

وفى ٣٤/٨/٦ قمنا صباحاً بجولة فى القرى الذهبى وزرنا مسجد أبى الأيوب الأنصارى وسعدت بتلاوة ما تيسر من آيات الذكر الحكيم على الحاضرين وكان من بينهم سيدات يستمعن إلى من وراء حجاب . ثم تبعنى شقيق أحمد فتلا أيضاً بعض آيات من القرآن الكريم ثم طفنا بمكتبة المسجد وبها كتب قيمة وفهرس للكتب العربية . ثم عدنا بالباخرة إلى غلطة ومنها إلى اسطمبول القديمة (جنوب القرن الذهبى) حيث زرنا السوق وهو يشبه خان الخليلى بمصر إلى حد كبير إلا أنه متسع وبه أربعة عشر بابا ويحوى كل ما يحتاج إليه الإنسان إلا أن الأسعار به مرتفعة ، ثم تناولنا الغداء بمطعم «فوتيه» وعدنا إلى مقرنا ببيك .

**يوم الثلاثاء :**

وفى ٣٤/٨/٧ قمنا بجولة خصصناها لزيارة الآثار والمساجد ومما زرناه (المسجد الجديد «فنى جامع» والذى أقامته أم السلطان محمد الرابع حرم السلطان إبراهيم حوالى ١٦٥٤ ومسجد أبا صوفيا وكان المؤذن لصلاة الظهر بالتركية فأدينا به الصلاة جماعة خلف الإمام التركى وهو يتلو القرآن دون أن يعرف العربية واستمعنا بعد الصلاة إلى مقرئ المسجد يرتل القرآن بصوت رخيم ولا ينقصه إلا ضبط العربية ثم أنشد بالعربية أيضاً نشيداً فى مدح الرسول عليه السلام . ومما يدهش حقًّا أنه أدى ذلك بالعربية وهو لا يعرفها . ومسجد السلطان أحمد الرابع الكبير «ويتميز بحديقة فسيحة فى مدخله تتوسطها مسلة مصرية وتاج كبير من البناء على شكل التاج الألمانى تذكاراً لزيارة غليوم إمبراطور ألمانيا للسلطان . كما يتميز ذلك المسجد بمآذنه الست . ثم زرنا المتحف الحربى وهو فخم ورائع وغنى بالآثار العسكرية وبه نماذج مجسمة لكل أشكال ورتب الجندى التركى والإنكشارية وأزيائهم المختلفة فى مختلف العصور ثم توجهنا إلى مقر الوالى محى الدين بك الذى أحسن استقبالنا وأكرم وفادتنا وتمنى لنا طيب الإقامة وأراد أن يطمئنا على مكانة الدين فى نفوس الأتراك وتمسكهم الشديد به فركز فى حديثه على نفى كل ما كان يشاع عن أعمال للأتراك خارجة عن الدين ووصفها بأنها شائعات مغرضة للوقيعة بين المسلمين . ثم تفضل ودعانا لزيارة قصر «بيلارلى» على الشاطئ الأسيوى للبسفور وهو من الآثار التى لا تزار إلا بتصريح – وأمر بإعداد لانش بخارى خاص يحملنا إلى القصر فى اليوم التالى ثم قصدنا دار جريدة «جمهوريت» التركية فأعلنا شكرنا للشعب والحكومة والوالى على حسن الضيافة .

يوم الأربعاء :

وفى ٣٤/٨/٨ زارنا فى الصباح وزيرنا المفوض عبد الملك بك حمزة رداً على زيارتنا له ومضى معنا بعض الوقت – ثم حضر سكرتير الوالى وكان قد أعد اللنش الخاص لزيارة «سراى بيلارلى» فركبناه وقطع بنا المسافة فى حوالى خمس وعشرين دقيقة . وأخذنا بروعة وفخامة القصر إذ يشمل صالات فخمة واسعة وأعمدة كثيرة من مرمر ورخام أزرق ، وجدرانه مرتفعة مغطاة بالخشب المنقوش المحلى بالذهب وأثاثه مطعم بالعاج والسن والصدف والذهب وأرضيات مغطاه بأبسطة تركية فخمة غالية الثمن ويتناثر فى نواحى القصر زهريات كبيرة ملونة بديعة الصنع ومرايا كبيرة فى الحوائط وبالقصر حمام بنى خصيصاً للإمبراطورة «أوجينى» عندما زارت السلطان ، هذا عدا الحمام الفخم الكبير الموجود به والذى ما زال يحتفظ بقبقاب السلطان . وعلمنا أن القصر بنى فى عهد السلطان عبد العزيز وسجن ومات فيه السلطان عبد الحميد وبالدور الأول من القصر صالة كبيرة يتوسطها حوض واسع من الرخام وحوله مقاعد وموائد – وبالقصر حديقة واسعة بها حوض سباحة فسيح مساحته ٥٠ متراً× ١٠٠ متر تحيط به التماثيل من البرنز لمختلف الحيوانات ، ومما يلفت النظر بالدور العلوى ويستحق الذكر منظار مكبر مثبت على قاعدة أمام باب الشرفة الواسعة المطلة على البحر ومنه يرى الناظر بوضوح تام أدق الأشياء الموجودة على الجانب الآخر من البوسفور .

تمتعنا حقاً بما شاهدناه بالقصر من بديع وأبهة الملك ، ثم عدنا باللنش الذى كان فى انتظارنا إلى «بيبك» وتناولنا الغذاء ثم خرجنا إلى «غلطة» لزيارة باقى المساجد التى لم يتسع وقتنا بالأمس لزيارتها ، وركبنا الترام قاصدين السور القديم من البوسفور إلى مرمرة ومررنا من تحت باب «أدرنه» وهو مبدأ الطريق الزراعى إلى مدينة (أدرنه وزرنا جامع العقربة» وكان قديماً كنيسة وبمدخله صور للمسيح عليه السلام وللسيدة مريم وهو جامع صغير يقع فى حى قديم متهدم يقطنه الأرمن . ثم زرنا جامع «الفاتح» وهو على العكس متسع وعظيم وبه أثاث فاخر ونقوش ، تصل إليه المياه بسور يشبه سور العيون عندنا بمصر القديمة . ثم جامع السليمانية وكان الليل قد حان فأدينا به صلاة المغرب فى الظلام لعدم وجود إضاءة بالمسجد كله إلا جهة القبلة . فسعدت هناك بتلاوة ما تيسر من القرآن الكريم ثم تبعنى شقيقى أحمد فتلا سورة القيامة ، ومما يلفت النظر إنصات المستمعين فى خشوع وسكينة وبكاء الكثير منهم متأثراً بتلاوة القرآن . وفى ختام الجولة زرنا سوق المدينة وهو يشبه إلى حد كبير سوق الخضار عندنا بالقاهرة ثم عدنا إلى بيبك حوالى الساعة الثامنة والنصف .

يوم الخميس :

وفى ٩ /٨ /٣٤ قمنا بجولة فى البوسفور إلى مرمرة مارين بجزيرة الأمراء «ببوك أضا» والقشلاق العسكرى الكبير وسراى مدرسة الطب ومحطة «حيدر باشا» لسكة حديد الشرق ومحطة قاضى كورى ثم جزيرة كينالى أوده وسكانها من الأرمن وجزر الورجازاه وهيبلى أوده وبيوك أودة (اده يعنى جزيرة وكلها متقاربة من بعضها وأكبرها الأخيرة وبين تلك الجزر جزيرة صغيرة جدًّا يملكها أرمنى يدعى «كنكريان» وكان فليسوفاً عاش فيها إلى أن مات ونزلنا بجزيرة بيوك أضا وهى تشبه كثيراً ضاحية المعادى بمصر . كل طرقاتها نظيفة ومعبدة إما بالأسفلت أو بالحجارة يقطنها كثير من الإفرنج وتعد مصيفاً جميلاً بها غابات من الصنوبر وبلاجها جميل يقع على مسيرة نحو نصف ساعة من الميناء ويهرع إليها الكثير من أهالى اسطمبول . مضينا بها وقتاً هنيئاً ثم عدنا إلى «غلطة» وفى «طب فيو» زرنا متحف الجواهر ويحوى القاعة التى يعقد فيها مجلس الوزراء جلساته يعلوها شرفة كان يجلس فيها الباشاه ويسمع ما يدور من مناقشات . وحجرة المكتب وحجرات أسلحة السلاطين وبها سيوف وخناجر وبنادق مذهبة ومن بينها بسيوف صحابة الرسول عليه الصلاة والسلام وسيوف كتب عليها «معاذ بن جبل» وبنادق ضخمة يصعب حملها وصالة استقبال السلطان عبد الحميد وحجرة أوان فاخرة مطعمة بالجواهر وبعضها محفوظ داخل دواليب وبعضها معلق فوق الجدران وحجرة بها أوان من ذهب وأخرى من فضة وأطقم شاى وقهوة بعضها من فضة ونموذج من فضة لمسجد السلطان أحمد ومركب مرصعة بالجواهر وزهريات مختلفة الأحجام والأشكال وحجرة لملابس السلاطين يتوسطها عرش الأكاسرة وحجرة تضم النياشين والساعات والعصى والمباسم يتوسطها عرش السلطان أحمد وأدوات كتابية ومسدسات وبنادق مرصعة . وحجرة عرش مراد (عرش الاستقبال فى الاعياد) مفروشة بسجاجيد فخمة ثمينة وبها مصاحف عديدة من بينها مصحف كلماته محفورة فى أوراق الفضة وبالحجرة مفاتيح الحصون والقلاع ويد «يوحنا» وجمجمته التى سحبت من كنيسته ، وحجرة خاصة بملابس الطفل محمد ابن عبد الحميد وفاطمة بنت مصطفى ومعها ساعة عقاربها من ماس . وحجرة بها خيمة السلطان محمود ومباخر وأدوات مرصعة بالجواهر وجوارب – وملابس مختلفة وأحذية . وبالمتحف عدا تلك الحجرات المتعددة جناح آخر يحوى صوراً وبعض الأثاث المذهب والمطعم بالصدف وبه شرفة كبيرة تطل على البوسفور كما تطل على حديقة متحف الغناء . وبها كشك كبير كان يجلس فيه الصدر الأعظم لمراد الرابع وكشك آخر يعرف باسم «كشك بغداد» عبارة عن حجرة مزخرفة بالصدف والفسيفساء وبها أرائك شرقية . وبالمتحف قسم الحرملك ذات السرر والأثاث الفخم الفاخر ويمتاز بجماله الرائع ثم

حجرة السلطان الكبرى وبها عرض تحوطه أرائك الحريم وتعلوها شرفة للموسيقى ومكان خاص للملابس . ثم حجرة الباش أغا والأغوات وأولاد السلطان .

وبالجملة فتحف الجواهر هذا متسع غنى بالتحف والآثار والجواهر ويكاد يكون فريداً فى نوعه ومحتوياته فهو من أروع وأهم ما شاهدناه فى زيارتنا لتركيا .

**يوم الجمعة :**

ويوم ١٠/٨/٣٤ خصصناه للفسحة الحرة فآثرت البقاء فى حديقة السراى للاستجمام والقراءة وذهب شقيق أحمد مع «فريد بك» الدليل المصرى الذى كان يرافقنا فى جولاتنا إلى ماينه عند محطة «قاضى كوى» التى تبعد عن غلطة حوالى ساعة ونصف بالباخرة لزيارة عائلة هناك يعرفها .

**يوم السبت :**

وفى ١١/٨/٣٤ زرنا يالوغا «مصيف الغازى مصطفى كمال وهى جزيرة هادئة نظيفة طرقاتها معبدة وحدائقها متسعة منسقة أبدع تنسيق تتخللها مسالك وطرق ضيقة ترتفع وتنخفض بين مساق ومياه طبيعية تجرى حارة وباردة . ومبانى الجزيرة غاية فى الروعة والجمال وبها منازل مخصصة للنوم والراحة وبها مطاعم ومشارب وأماكن للاستجمام وبها أيضاً أثر بيزنطى عبارة عن عمودين أمام قوس من حائطين مزدوجتين يفصلها نفق (فراغ) ضيق لا يستطيع المرء أن يمر به إلا وهو منحن ، وللغازى بالجزيرة منزل خاص له وصادف وجوده بالجزيرة وقام بزيارتنا وشاهدناه بالطريق فى سيارته وتبادلنا التحية وله أيضاً «شفلك ينتج «السوت» وهو لبن مثلج شربنا منه وارتحنا له . ومضينا بالجزيرة وقتاً طيباً وعدنا إلى مكاننا .

**يوم الأحد :**

وفى ١٢ / ٨ / ٣٤ أقامت لنا المفوضية المصرية حفلة شاى فى دارها الجديدة – بسراى بيك حضرها معنا الوزير المفوض عبد الملك بك حمزة والقنصل حقى بك ومدير المطبوعات توحيد بك السلحدار والحسينى الخطيب وأحمد رمزى وحلمى . . وألقى فضيلة الشيخ النجار رئيس الرحلة كلمة شكر وأعقبه الوزير المفوض مرحباً متمنيًا لجمعية الشبان المسلمين كل توفيق فى خدمة الإسلام والمسلمين . وكان حسن الختام أن طلب منى أن أرتل بصوتى ( الرخيم ) فى زعمهم بعض آيات الذكر الحكيم ففعلت ثم تبعنى كالعادة شقيق أحمد فرتل بعض آيات من سورة الفتح . وبعد انتهاء الحفلة

العائلية قصدنا « فاتراكى » ومنها إلى التونيل . لزيارة القنصل لشكره ، والتونيل عبارة عن ترام تحت الأرض يجرى فى نفق طوله ٥٥٠ متراً يقطعها فى دقيقة ونصف دقيقة ويسير بلا سائق متى ركب جميع الركاب أقفلت أتوماتيكيا جميع الأبواب وانطلق الترام كالسهم يشق النفق . وبالقنصلية نصحونا أن لا تفوتنا زيارة « شملجة » على الشاطىء الاسيوى فركبنا الباخرة من « غلطة » إلى « اسكودار » ومنها ركبنا الترام لمسافة حوالى خمس وعشرين دقيقة ، ثم سرنا على الأقدام فى طريق مرتفع حتى كشفنا البوسفور والقرن الذهبى وإسطمبول . منظر بديع وسبحان الخلاق العظيم . وجدنا « شملجة » خالية تقريبا من الزوار حيث لا تزدحم بهم إلا يوم الجمعة ، يوم الراحة الأسبوعية . وهناك قصدنا مقهى محوطا بالسلك تتوسطه عين ماء واسترحنا واستمتعنا بالمنظر الفريد من ذلك المكان المطل على البوسفور والقرن الذهبى واسطمبول وكان هو آخر مكان فى رحلتنا المفيدة الممتعة وغادرنا تركيا فى اليوم التالى عائدين إلى وطننا حامدين شاكرين .

**يوم الثلاثاء :**

وفى ١٤ / ٨ / ٣٤ أقلعت بنا الباخرة عائدة إلى الوطن العزيز وكان فى وداعنا رجال المفوضية وصديقى العزيز الدكتور حسنى مورو .

**يوم الأربعاء :**

وفى ١٥ / ٨ / ٣٤ وصلت الباخرة إلى أزمير واتسع الوقت لزيارة « كارثباكا » التى تصل إليها بباخرة أخرى قطعت المسافة فى ثلث ساعة وقصدنا إلى بلاجها « بالترام » والترام هناك تجره الخيل على قضبان . . وهناك تناولنا الغذاء وأخذنا قسطا من المتعة والراحة وعدنا إلى أزمير وزرنا سوقها واشترى البعض منا بعض حاجاته .

**يوم الخميس :**

وفى ١٦ / ٨ / ٣٤ بعد مغادرة أزمير مرت الباخرة بالجزر المتناثرة فى بحر الأرخبيل حتى وصلت بيريه وفى هذه المرة كان لدينا وقت لركوب الترام إلى أثينا . عاصمة اليونان . حيث تناولنا الغذاء بمطعم « هلاسى » الشهير بميدان « أمونيا » ثم عدنا إلى الباخرة التى أقلعت بنا حوالى الساعة الخامسة مساء وكان الريح شديداً والبحر هائجاً .

**يوم الجمعة :**

وفى ١٧ / ٨ / ٣٤ مرت الباخرة بجزيرة «كريت» وأقمنا حفلة سمر على ظهرها وكنا جميعا والحمد لله بصحة جيدة .

**يوم السبت :**

وحوالى الساعة الحادية عشر قبيل الظهر ١٨ / ٨ / ٣٤ لاح لنا من بعد ميناء الإسكندرية وأخذت تزداد الرؤية وضوحا كلما اقتربت الباخرة ورفع العلم المصرى وحياه الجميع وأخذنا ننشد «اسلمى يا مصر» ورفع العلم التركى وحياه الجميع . ثم صعدنا إلى حجرة عزيز بك قبطان الباخرة وقدمنا له جزيل الشكر ودعوناه هو والسيدة حرمه وراسم بك عضو مجلس الأمة الوطنى التركى ومحمد بك النابلسى من أعيان فلسطين وكانوا من ركاب الباخرة لحفلة شاى فى جمعية الشباب المسلمين بالإسكندرية مساء الأحد ١٩ / ٨ / ٣٤ بمناسبة العودة بسلامة الله ونجاح الرحلة التى كانت بفضل الله ممتعة ومرخة ومفيدة .

## (ب) سفرى إلى الشام

## ٢٧ / ٧ / ٣٨ – ١١ / ٨ / ٣٨

سافرت إلى الشام بحراً فى صيف ١٩٣٨ مع فريق كشافة وجوالة الشبان المسلمين للاشتراك فى مؤتمر بلودان الكشفى العربى والذى ضم كشافة من سوريا وفلسطين والأردن والعراق ومصر والسودان وسمح لى بأن أصطحب معى نجلى الصغير عماد الدين ولم يكن تجاوز السادسة بعد . ففى الساعة الثالثة بعد ظهر الأربعاء ٢٧ / ٧ / ٣٨ ركبنا الباخرة اسبيريا من ميناء الأسكندرية قاصدين بيروت وكنا ٣٥ ( خمسة وثلاثين ) ( ٦ من المركز العام و٢٨ من فرع الإسكندرية وجامعة القاهرة و١ من كشافة الشرق بالقاهرة ) وكان فى توديعنا الدكتور منصور القاضى كاتم سر الشباب المسلمين بالإسكندرية والإستاذ مهنى سالم زعيم رهط الجوالة بها وجمع غفير من كشافة وأعضاء الجمعية فى الساعة التاسعة صباح ٢٨ / ٨ / ٣٨ ووصلنا بيروت إلا أن الباخرة وقفت بعيداً عن الشاطىء لعدم وجود رصيف ترسوا عليه السفن فحملتنا اللنشات إلى البر وتناولنا طعام الغداء فى أحد مطاعم المدينة ثم بدأنا الرحلة بالسيارات إلى بلودان فى الساعة الرابعة بعد الظهر وسلكت بنا طريقاً ملتوياً فوق الجبال ، مرت بنا السيارات فى الطريق بين بيروت وبلودان على « عاريا » وعالية وحمدون وصوفر « ومريحات » واشتورة وزيدانى » ثم

إلى بلودان على ارتفاع ١٥٠٠ متر من سطح البحر وعلى بعد ١١٥ كيلوا متر من بيروت وتوقفنا قليلا فى اشتورة للتزويد بالبنزين اللازم . وواصلنا السفر وتوقفنا اضطرارياً عند مزلاق السكة الحديد . بزيدانى إذ كان القطار ماراً فى ذلك الحين ومما لاحظناه أن عجلات السكة الحديد تشبه تروس الساعة لتتمكن من صعود الجبال والمرتفعات ومقاومة الانحدار عند النزول . وتعتبر زيدانى مصيفا إسلامياً جميلا ومشهورة بالفاكهة ثم تابعنا السير إلى مقر المعسكر ببلودان ووصلنا الساعة السابعة مساء وكان على ارتفاع ١٥٠٠ متر من سطح البحر وكان فى استقبالنا فرق الكشافة السورية وعلى رأسها القائد العام للمخيم على عبد الكريم الدندشى والتقينا بجوالة العراق وعددهم ٣٨ وجوالة دمشق وعددهم ١٨ ودير الزور وعددهم ٦ وحوران وعددهم ٣ وبذا أكتمل عدد المشتركين فى المؤتمر ١٠٠ وتم انتخاب الأستاذ على حسن رئيسا للبعثة وانتخبنا نحن فريق القاهرة الأستاذ صالح جمال محمد رئيسا للفرق والأستاذ محمود عبد اللطيف راسم سكرتيرا له وانتخبت أنا أميناً للصندوق وكان الأستاذة جمال محمدو خشبة ومحمد حمدان عبده ويوسف عليوة ابوالخير (مصور الرحلة) أعضاء وكانت سوريا قد عملت مشكورة كل الترتيبات اللازمة لنزولنا بالخيام المعدة لمبيتنا واستكمال وسائل الراحة من توفير المياة وتعبيد أرض المؤتمر وإعداد المراحيض وتنظيف المكان وبعد تناول العشاء نمنا فى مخيماتنا نوماً هادئاً عميقاً .

وفى الساعة الخامسة من مساء ٢٩ / ٧ / ٣٨ افتتح المؤتمر بحضور صاحب الفخامة جميل بك مردم رئيس مجلس وزراء سوريا وصاحب المعالى عبد الرحمن بك الكيالى وزير المعارف وأصحاب المعالى الوزراء والنواب والأعيان وجمع كبير من الأهالى المدعوين . وألقى رئيس الوزراء كلمة جامعة حيا فيها الحركة الكشفية ونوه بأمل العرب فى الوحدة ، وبعدها كانت المفاجأة السارة . إذ صعد إلى المنصة نجلى الصغير عماد الدين فى زى الكشافة وعلى رأسه العقال والكوفيه وحيا الحاضرين وألقى أكثر من نشيد وطنى تعلمه فى روضة أطفال مصر الجديدة وكان ثباته وإجادته الإلقاء والتعبير وثقته بنفسه موضع إعجاب الجميع حتى أنهم استعادوه مع التصفيق الطويل أكثر من مرة ؛ وكانوا ينادونه بالجرموز المصرى . وجرموز « كلمة يطلقونها على الكشاف الصغير مقابل كلمة ( شبل ) » عندنا وهنأه رئيس الوزراء على توفيقه وطبع على جبينه قبلة أبوية . ثم قام الأستاذ على حسن ( رئيس البعثة ) وشكر سوريا حكومة وشعبا على الحفاوة بالبعثة المصرية والبعثات الأخرى وتعاقب خطباء العراق وشرق الأردن وسوريا وسط هتافات حماسية مدوية لوحدة العرب وعزة العروبة . . ثم قام رئيس الوزراء ومن معه بزيارة جميع المخيمات الموجودة بالمعسكر وكان كل فريق يقابلهم بالأناشيد الوطنية مناديا بالوحدة العربية ثم قامت الفرق بزيارة بعضها البعض للتعارف وتوثيق الروابط واستمر ذلك المهرجان إلى منتصف الليل بين فرحة اللقاء والأمل فى المستقبل .

وفى صباح ٣٨/٧/٣٠ استيقظنا كعادتنا مبكرين وبعد تحية العلم وتناول الفطور سرنا فى طوابير منتظمة إلى متنزهات « أبى زاد » وهناك تناولنا طعام الغداء بدعوة من البلدية بين عزف الموسيقى ومناظر الطبيعة والمياه الصافية المنحدرة فى شكل شلالات والخضرة البديعة والهواء العليل صنع الله ومن أحسن من الله صنعاً . وعدنا حوالى الساعة السادسة إلى بلودان سيرا على الأقدام ، وفى المساء بعد تناول العشاء أقمنا حفلة سمر بديعة اشتركت فيها جميع الفرق بأناشيد وطنية واستكشات وألعاب الصواريخ النارية وحضر الحفلة كثير من الأهالى والمصيفين .

وفى ٣١ / ٧ / ٣٨ توجهنا سيراً على الأقدام إلى الجرحانية وهى قريبة من بلودان سلكنا إليها طرقاً جبلية إلا أن بها فندقاً جميلا رخيص التكاليف تتوسط بهوه نافورة بديعة استرحنا حولها قليلا ثم انتقلنا إلى بيين ومنها إلى « بردة » وبها عين عظيمة يخرج منها نهر تعتمد عليه المنطقة كلها فى رى أراضيها . وقد أعجبنا طعم مياهه وهى معدنية نوعا وهنا أقامت لنا البلدية حفلة شاى متواضعة ، وكنا موضع حفاوة أهل البلد ومصيفيها ومن بينهم مصريون يفضلون ذلك المصيف عن سواه .

وحوالى الساعة السابعة مساء عدنا إلى « بلودان » بالسيارات وأقمنا بالمعسكر كعادتنا حفلة سمر جميلة ألقيت فيها الأغانى والأناشيد الحماسية وكلها تدعو إلى الوحدة العربية .

وفيما بين ١ / ٨ / ٣٨ و ٥ / ٨ / ٣٨ قمنا بجولة بالسيارات زرنا فيها دمشق وحمص وحماه ثم المعرة وحلب ثم اللاذقية ثم طرطوس وسلكيح ثم بيروت .

فى ١ / ٨ / ٣٨ قصدنا دمشق وفى طريقنا إليها مررنا على الزيدانى « ثم بيسلون » وفيها نصب تذكارى لقتلى ثورة سوريا ضد الفرنسيين ١٩٢٠ ثم الهامة ودمر الربوة إلى أن وصلنا دمشق وبها استرحنا قليلا وتزودنا بالماء اللازم من المدرسة التجهيزية ثم واصلنا السير إلى حمص واستقبلنا الأهالى وفرقة الكشافة بها استقبالا حافلا يدقون الطبول ويرفعون الأعلام – وينشدون الأناشيد ، وكأننا فى مهرجان عظيم وكان هتافهم لنا بالتحية « يا هلا يا هلا » وأعدت لنا البلدية طعام الغداء فى حفل بهيج بحضور سعادة محافظ المدينة الذى وجه إلينا كلمة ترحيب وتمنى لنا أطيب التمنيات كما أن رئيس البلدية أرسل إلينا رسالة وصلتنا أثناء الحفل يعتذر عن عدم الحضور لارتباطه بموعد سابق وأناب عنه وكيله . وقد ألقيت كلمة الفريق داعياً إلى طرح الارتجال ونبذ الخلافات والعمل لتدعيم الوحدة العربية ولتحرير فلسطين ، ثم تعاقبت الكلمات والقصائد المناسبة من الفرق المشتركة ثم تابعنا السير إلى « حماه » حيث بتنا بفندق « أبى الفداء » بجوار النواعير

وفى ٢ / ٨ / ٣٨ بعد تناول الإفطار فى الفندق خرجنا إلى زيارة النواعير وهى عجلات كبيرة قطر الواحدة منها حوالى خمسة عشر متراً ، وهى على نظام السواقى عندنا لرى المزارع ، ثم زرنا دار العلوم

والتربية وهى مدرسة قديمة يرجع عهد بنائها إلى ١١٥٠ هجرية . وقد نقشت جدرانها نقشا بديعاً ، ثم زرنا مكتبة المدرسة ، ومما لفت نظرنا وجود دولاب مخصص لهدايا الأمير عمر طوسون للمكتبة من الكتب القديمة ، ثم واصلنا السير بالسيارات إلى « المعرة » وبها قبر أبى العلاء المعرى ، ومما يؤسف له ويحز فى النفس الحالة التى عليها القبر من الإهمال والتهدم ، وقيل لنا إن الحكومة السورية وضعت تصميماً لإعادة بنائه بما يتناسب وعظمة الفيلسوف الشاعر ثم دعانا السيد حكمت الحراكى نائب المدينة لتناول الغذاء ولبينا الدعوة الكريمة وتبادلنا الخطب المناسبة ثم تابعنا السير إلى « حلب » ووصلناها قبيل الغروب ونزلنا بالمدرسة التجهيزية ودار المعلمين حيث أعدت لنا الأسرة المريحة للنوم ، وتكرم وزير المعارف ودعانا لتناول العشاء ، وفى الحفلة ألقيت الخطب والكلمات المناسبة .

وفى ٣ / ٨ / ٣٨ زرنا المتحف العربى « بحلب » وهو يحوى آثاراً يرجع تاريخها إلى عهد الحيثيين والإغريق ، ثم توجهنا إلى قلعة صلاح الدين ومنهاإلى المدرسة التجهيزية حيث تابعنا الرحلة إلى اللاذقية مارين ببلدة « جسر الشغور » وبها تناولنا طعام الغداء بدعوة من إدارة البلدية فى منتزه بجوار مبنى البلدية تتوسطه نافورة جميلة ، ووصلنا اللاذقية فى المساء واستقبلنا استقبالا رائعاً ، ووجدنا أن البلدية قد أعدت لنا عشاء فخماً فى مقهى على الشاطىء عند مدخل المدينة ، وتبادلنا الخطب الحماسية ثم تفرقنا على فنادق المدينة للمبيت .

وفى ٤ / ٨ / ٣٨ قصدنا إلى « طرطوس » وهى قرية صغيرة ، وأعدت البلدية لنا طعام الغذاء ومن « طرطوس » وعلى بعد ٧ كيلومترات من شاطئها تقع جزيرة « ارواد » منفى المجاهدين الوطنيين ، وقيل لنا إن تلك الجزيرة كانت فى حوزة الفرنسيين أثناء الحرب العظمى تنعم بالرغد والرفاهية بينما كانت طرطوس فى حوزة الأتراك تفتك بأهاليها المجاعة .

وحدث والسيارات فى طريقها لتكملة الجولة أن بلغ الأستاذ على عبد الكريم الدندشى القائد العام للمخيم نبأ وفاة خاله الكبير ، فأمر فى الحال بتحويل خط سير السيارات إلى بلدته « تلكح » والإسراع لكى نلحق تشييع الجنازة فأخذت تنهب الأرض نهباً حتى وصلنا إلى مقبرة الشهيد خارج البلدة والجثة على وشك أن توارى التراب .

فقدمنا العزاء لأهل الفقيد ووقف على قبره أحد العراقيين وأبنه بكلمة وفاء رصينة كشفت مع إيجازها عن نواحى حياة الفقيد المشرفة ونضاله الوطنى ضد المستعمر .

وبعد أن ووريت الجثة التراب مشيعة بالرحمات وأطيب الدعوات وكررنا العزاء للأستاذ على ووالده الوقور وباقى العائلة ، انتقلنا إلى منزل الفقيد وهو قصر كبير بمدخله ساحة فسيحة ملئت بالكراسى للمعزين ، فجلسنا ولم نلحظ أى أمارة من أمارات الحزن ولم نسمع أى صوت صخب مما يصدر عادة

من المصابين فى مثل تلك الأحوال بل السكون تام كأن لم تحصل وفاة مما ينبىء عن إيمان كامل وتقبل لقضاء الله بنفس راضية مطمئنة ، وهذا ما وصى به الإسلام عند نزول كارثة أو مصيبة تصيب الناس فى أموالهم أو فى نفوسهم ولا أنكر أنه اعترتنا الدهشة عندما رأينا الخدم يقدمون لنا شراب الليمون ونحن الذين اعتدنا أن نشرب القهوة فى مثل تلك المناسبة المحزنة .

وبعد استراحة قليلة ركبنا السيارات واتجهت بنا إلى قصر الدندشى الصيفى خارج المدينة وهو مبنى على هيئة قلعة ، وعلمنا أنه فعلا استعمل قلعة احتمى بها المجاهدون فى نضالهم ضد الفرنسيين المستعمرين . وهو بذلك أثرى يحمل ذكريات النضال المجيدة . وقد أعد لنا الدندشى عشاء فاخراً ومدوا السماط على الطريقة العربية فوق سطح القصر فى الهواء الطلق وأصروا على أن نقوم بعد العشاء بحفلة السمر كالمعتاد وألا يكون لحادث الوفاة تأثير على مرحنا وسرورنا بذلك ، بل وشاركونا فيها ومكثوا بيننا إلى انتهاء الحفلة زيادة فى الحفاوة والترحيب . وفى صباح اليوم التالى وبعد أن تناولنا طعام الفطور الكامل حضر إلى القصر والد الأستاذ على ممتطيا جوادا عربياً أصيلا وأخذ – زيادة فى الحفاوة بنا – يقوم بألعاب الفروسية مستخدما المزراق ثم ودعنا هو وبعض العائلة الكريمة إلى خارج البلدة مشكورين .

ثم واصلنا الرحلة بالسيارات إلى « بيرود » عن طريق حمص واسترحنا قليلا فى حديقتها الجميلة ، وتابع الركب سيره إلى البنك ( منطقة القلمون ) وفيها استقبلنا أهلها بحفاوة بالغة وأنزلونا دار جمعية الاقتصاد والترقى وقدموا لنا المرطبات ومنها تابعنا السير إلى « بيرود » الشهيرة بنبع بيرود الذى يخرج من عيون صغيرة بسفح الجبل .

واصلنا السير إلى دمشق ووصلناها الساعة التاسعة مساء واستقبلنا استقبالا رائعاً مؤثراً وأنزلونا بالمدرسة التجهيزية حيث بتنا ليلة مريحة .

وفى صباح ٦ / ٨ / ٣٨ ركبنا السيارات إلى بلودان ووصلنا إليها الساعة التاسعة والنصف واجتمع كل فريق ليبحث ما قد يكون لديه من اقتراحات أو ملاحظات ليقدمها إلى لجنة المؤتمر التى تقرر عقدها بفندق بلودان حوالى الساعة الثالثة والنصف ، وجمعت اللجنة اقتراحات الفرق ونظرت فى بعضها وقررت أن نعود للاجتماع فى اليوم التالى . وفى المساء أقمنا حفلة سمر وقام كشافة حلب بتمثيل رواية وكذا كشافة الإسكندرية بتمثيل رواية أخرى وأنشدوا الأناشيد وانتهى السمر حوالى الساعة الحادية عشرة فأوينا إلى فراشنا .

وفى ٣٨/٨/٧ قامت لجنة من القواد السوريين وعلى رأسهم الدكتور رشدى الجابرى المفوض العام لكشاف سوريا ( الرئيس الأعلى ) والسيد عبد الكريم الدندشى للتفتيش على معسكر المخيم وألقى السيد

الجابرى فى معسكرنا بعد التفتيش عليه والارتياح لما لمسه من نظافة وترتيب ، كلمة أثنى بها على فريقنا ، ورد عليه الدكتور فتحى سعيد رئيس فرقة الجامعة المصرية بكلمة مناسبة .

وبعد انتهاء التفتيش التف الكل حول نصب فلسطين حيث ألقيت الخطب الحماسية وأقسم الجميع اليمين فى صوت مجلجل على مساعدة وحماية فلسطين وبذل كل الجهد لتحقيق الوحدة العربية وآمال الأمة الإسلامية .

واجتمعت لجنة المؤتمر للمرة الثانية ونظرت فى بقية الاقتراحات وتمت الموافقة بالإجماع على قرارات المؤتمر فى حفلة شاى أقيمت لنا بفندق بلادى خطب فيها الدكتور جابى عن سوريا وخطبت أنا عن مصر والأستاذ عبد القادر فوزى عن العراق وكانت القرارات :

١ – توحيد التعاليم الكشفية فى البلاد العربية .

٢ – توحيد الزى الكشفى بها .

٣ – بث روح القومية العربية فى صدور الناشئة .

٤ – عقد معسكرات كشفية دورية مرة كل سنتين .

٥ – القيام برحلات مشتركة باسم شباب العرب إلى الأقطار العربية والغربية .

٦ – تأمين الاتصال بين مكاتب الكشاف بواسطة لجان خاصة .

٧ – تقديم تقارير من المكاتب مرة كل ثلاثة شهور .

٨ – إصدار مجلة كشفية كل ثلاثة شهور .

٩ – إقامة المؤتمر العربى المقبل فى ١٩٤٠ فى العراق والذى يليه فى ١٩٤٢ فى مصر وفى المساء أقمنا كعادتنا حفلة السمر ووصلنا أثناءها خطاب من الدكتور عبد الحميد سعيد رئيس جمعيات الشبان المسلمين وفيه يتمنى للمؤتمر النجاح وللعروبة وللإسلام التقدم والازدهار .

وبهذا انتهى المؤتمر بنجاح والحمد لله .

ومما يذكر أن جميع مناظر الرحلة أخذت بالسينما الناطقة وأن الاختيار كان وقع على أنا وصديق محمد حمدان عبده للخطابة عن الفريق فى كل حفلة وفى كل مناسبة . وكان محور خطبتنا الدعوة للجهاد لتحرير فلسطين وللوحدة العربية والحث على البذل والفداء والتوجيه إلى طرح الارتجال والاتجاه بكل قوة للعمل المفيد البناء . وأرجو أن نكون قد وفينا الموضوع حقه وأن لا تكون خطبنا صيحة فى واد . وفى الصباح الباكر من ٩ / ٨ / ٣٨ قمنا بفك الخيام وبدأنا العودة إلى دمشق فنزلنا ضيوفاً بالمدرسة التجهيزية التى أعدوا لنا فيها طعام الغداء وتجولنا بعض الوقت فى المدينة . ودعتنا الكتلة الوطنية لتناول العشاء فى دارها الفسيحة كما أقامت لنا القنصلية العراقية حفلة شاى بدارها . وأثناءها نمى إلينا

خبر أن الحكومة اللبنانية تمنع دخول الفريق الكشفى العراقى الأراضى اللبنانية بزيه الرسمى وبعلمه . تريد بذلك منع العراقيين من حضور معسكر صوفر وكنا قررنا حضوره من قبل وأصر العراقيون على عدم دخولهم لبنان إلا بالملابس الكشفية الرسمية مع رفع العلم العراقى ، وكان موقفاً مشرفاً أقررناهم عليه واستقر رأينا على أن نشاركهم فيه تضامناً معهم وقررنا عدم الاشتراك فى مخيم صوفر . وعدنا بعد حفلة الشاى هذه إلى مقر الكتلة الوطنية وتناولنا العشاء وتبادلنا الخطب وعدنا إلى المدرسة التجهيزية ونمنا بها .

وفى صباح ١٠ / ٨ / ٣٨ جمعنا أمتعتنا استعدادا للسفر إلى بيروت للرحيل منها إلى الإسكندرية على الباخرة « ماركوبولو » التى قررنا العودة بها ، ومررنا على صوفر واعتذرنا من عدم حضور المخيم وبتنا ببيت الكشاف ببيروت .

وفى ١١ / ٨ / ٣٨ غادرت « ماركوبولو » بيروت وعدنا إلى الإسكندرية وبذا تكون الرحلة استغرقت ١٦ يوما كنا فيها جميعا موضع الحفاوة والإكرام من الشعب والحكومة على السواء فى كل مكان زرناه ونجح المؤتمر والحمد لله وعدنا – بسلامة الله إلى وطننا العزيز نحمل الأمل فى مستقبل مزدهر بإذن الله .

## ( جـ ) سفرى إلى اليمن

١٩٤٨/٣/١٢ - ٤٨/١/٦

**الغرض من الرحلة :**

فى يوم ٦ من يناير سنة ١٩٤٨ سافرت إلى اليمن بالطائرة ومعى صديقى الدكتور حسن اسماعيل وكيل مصلحة العمل بصفتنا مندوبين عن الحاج محمد سالم مدير شركة أتوبيس الشرقية والدقهلية لمقابلة الإمام يحيى إمام اليمن . ووضع عقد شركة يمنية مصرية للتجارة بعد التعرف على موارد الثروة باليمن زراعية ومعدنية وحيوانية ، والوقوف على مقدرة اليمن البشرية وإمكانياتها المادية ومدى استخدام تلك الثروات ، وللتعرف فى نفس الوقت على الشخصيات اليمنية التى تبدى استعداداً طيباً للإسهام فى الشركة التى ستكون لو قامت أول شركة من نوعها تربط مصالح مصر واليمن وتنشأ بينهما العلاقات التجارية والاقتصادية فضلا عن توثيق الروابط بين شعبيهما .

**التمهيد لفكرة تكوين الشركة :**

وتلك ولا شك مهمة صعبة إلا أنها محببة إلى نفسى وأنا التواق لتلمس كل وسيلة تحكم الصلة بين الأقطار العربية والإسلامية وكان الأستاذ الفضيل قد سبقنا إلى اليمن ومهد الفكرة لتكوين الشركة لدى

الإمام وكبار المسئولين ، وحصل منهم على موافقة مبدئية مشروطة بأن يكون الحاج محمد سالم وهو موضع ثقة الإمام ممثل مصر فى الشركة وأن يكون للإمام وسيوف الإسلام النصيب الأوفر من أسهمها .

**المبيت بأسمرة :**

مرت الطائرة بالسودان وتوقفت قليلا بالخرطوم وتزودت بما يلزمها من وقود ثم بأريتريا وهبطت مساء بأسمرة التى نزلنا بأحد فنادقها الفخمة وفى صباح اليوم التالى غادرت الطائرة أسمرة إلى جزيرة كمران المواجهة لساحل اليمن فوصلنا إليها حوالى الظهر .

**الجنرال طومسون الإنجليزى حاكم جزيرة كمران :**

ووجدنا فى استقبالنا بالمطار حاكم الجزيرة الإنجليزى الجنرال طومسون وركبنا معاً سيارته الخاصة إلى سرايه المطلة على البحر من فوق ربوة عالية وتناولنا الغداء معا وأخذ الجنرال أثناء الطعام يستفهم بلباقة عن مهمتنا فى اليمن – وهو ولا شك يعلمها كما أعتقد .

**وصايا الجنرال :**

ثم أوصانا بأمور ثلاثة :

١ – أن لا نشرب الماء باليمن لأنه ملوث .

٢ – وأن لا نسير باليمن ليلا خشية أن نضل الطريق .

٣– وان لا ندخل قرية فى طريقنا ولو أدى ذلك إلى البقاء فى العراء ليلا أو نهاراً لانتشار الأمراض المعدية بين الأهالى بصورة مزعجة ، فشكرناه على نصيحته وعزمنا على اتباعها .

وبعد تناول الغداء أخذنا قسطاً من الراحة فى استراحة ملحقة بالسراى وقمنا بالاستحمام بدش بدائى عبارة عن صفيحة كصفيحة الغاز عندنا مملوءة ومعلقة بحبل فى سقف الحمام ومتصلة بغطاء صفيح حاجز للمياه فى قاع الصفيحة المخرم بحيث إذا ما شده الإنسان ارتفع الغطاء قليلا فتتدفق المياه على الجسم من تلك الثقوب .

**فاروق والدش :**

ومن ذكريات الجنرال التى ذكرها لنا أن فاروق ملك مصر كان يستخدم ذلك الدش كلما مر

بالجزيرة فى رحلاته وكان ينام على نفس السرير الذى نمنا عليه بعض الوقت للاستجمام بالحجرة المجاورة للحمام .

**إعداد رفاص خاص لنقلنا إلى الشاطىء المقابل ومدنا بالماء المقطر :**

ومما يذكر بالشكر والعرفان للجنرال طوسون أن أعد لنا رفاصاً خاصاً أقلنا إلى شاطئ اليمن المقابل للجزيرة وأمدنا بزلعة كبيرة مملوءة ماء نقياً للشرب تعنينا عن مياه اليمن الملوث وكانت هذه خدمة لنا لا تقدر بثمن .

**الشعب الصخرية وعمال الميناء :**

ولوجود شعاب صخرية قرب الشاطىء وقف الرفاص بعد أمتار قليلة وحضر عمال الميناء وحملونا إلى الشاطىء ودخلنا قرية عليها مسحة الفقر ونزلنا ببيت العمدة وتناولنا الغداء قعودا على الأرض .

**فى طريقنا إلى الحديدة ليلا :**

وبعد انتظار ممل للعثور على سيارة تنقلنا إلى الحديدة وجدنا بعد جهد سيارة بضاعة نقلتنا إلى بلدة صغيرة فى طريق الحديدة لا أذكر اسمها ودخلناها مساء واسترحنا قليلا بمنزل العمدة الذى ألح علينا بالمبيت حتى لا نضل الطريق إن نحن واصلنا السير إلى ميناء الحديدة ليلا ، إلا أننا جازفنا وفضلنا مواصلة السفر خشية عدم توفر وسائل الراحة فى تلك الدار ، فهيأ لنا العمدة سيارة تشبه التاكسى عندنا وبعث معنا برجلين ليدلانا على الطريق .

**ضل السائق الطريق وتعطلت السيارة :**

وقطعت السيارة شوطا كبيرا وضل السائق الطريق رغم وجود الدليلين وخيم الظلام وظل السائق يحاول الاهتداء إلى الطريق الصحيح وبعد جهد وفق إليه وسار فيه قليلا ثم أصاب السيارة عطب وتوقفت عن السير تماما رغم كل الجهود التى بذلت لتصليح مابها من خلل ، ولم يكن بد من الاستسلام لقضاء الله ، فبقينا مكاننا والظلام حالك والجهة موحشة حتى يأتى الله بفرجه ، وبعد حوالى الساعة ونحن على ذلك الحال لاحت من بعد سيارتان مقبلتان واتضح أن أولى الأمر بالحديدة وكان وصلهم نبأ إصرارنا على مواصلة السفر ليلا بعثوا وفداً للقائنا فتنفسنا الصعداء وانتقلنا إلى السيارتين تاركين المعطلة ووصلنا الحديدة فجراً وقصدنا دار الضيافة وهو مبنى على الطراز التركى ويطل على البحر وأدينا صلاة الفجر وآوينا إلى فراش وثير كل منا فى سرير فى حجرة فسيحة مفروشة بالسجاد العجمى .

**زيارة قاضي الحديدة لنا بالدار مرحبا :**

وفى اليوم التالى زارنا قاضى الحديدة مرحباً متمنيا لنا طيب الإقامة وقمنا برد الزيارة له شاكرين وبقينا فى بيت الضيافة حوالى الأسبوع وزرنا خلاله جبل الملح ( السليط ) والملح من أكبر ثروات اليمن وصلنا إليه راكبين البغال فى طريق تشقه آثار خط ترولى مطمور فى الرمال وكان من قبل ينقل عليه الملح المستخرج من ذلك الجبل إلى المراكب لتصديره إلى الخارج .

**زيارتنا لجبل السليط والميناء القديمة :**

وزرنا الميناء القريبة من السليط فوجدنا أنها تصلح لتكون ميناء تجارياً هاماً لو وجهت إليها العناية لتعميقها لتتمكن من استقبال المراكب الضخمة – ومن مزايا الميناء وقوعه فى مكان خال من التيارات المائية هادئ يشبه الخليج .

**زيارتنا للسوق والمدرسة الوحيدة بالحديدة :**

وجلنا خلال البلد وزرنا السوق والمدرسة الأبتدائية الوحيدة به ولمسنا فى جولاتنا حالة البؤس والفاقة والمرض التى يعيشها الأهالى المحرومون ومما راعنا أيضا اتغماس الناس جميعا لا فرق بين صغير وكبير أو أمير وحقير فى مضغ القات وهو نبات أخضر يشبه عندنا الحلبة الخضراء إلى حد كبير حتى ليفضلوه على تناول الطعام ، وهم يخلدون بتعاطيه على نحو مفرط إلى الكسل والخمول ، والجدير بالذكر فى هذا المقام ما علمناه من أن الإمام الطاغية جريا وراء النفع الذاتى عمم زراعته عن قصد خبيث .

**من سيئات الإمام :**

عمد إلى التوسع فى زراعة القات على حساب الأراضى التى كانت تزرع بناً المحصول الرئيسى باليمن واحتكر زراعته لنفسه وجعل سعره فى متناول الفقير ، ليعمم تعاطيه والإقبال عليه ، ويضمن بتلك السياسة الخبيثة اللا إنسانية بقاء الشعب ميتاً يدين له بالطاعة العمياء .

**اجتماعات الأعيان وتجار الحديدة :**

وكنا افضينا إلى القاضى حاكم الحديدة فى زيارتنا له بمهمتنا والغرض من زيارتنا لليمن وطلبنا منه تيسير اجتماعنا بالتجار والأعيان ودعوتهم لحضور اجتماعات نعقدها بدار الضيافة للتعرف عليهم ولشرح

فكرة تكوين الشركة التجارية المزمع تكوينها وتبادل الرأى معهم فاستجاب القاضى وتمت الاجتماعات ونجحت حيث رحب الكل بالفكرة والانضمام إلى الشركة كما تعهدوا بالدعوة للمشروع .

**صدور إذن الإمام لنا بالانتقال إلى صنعاء :**

ولم ننتقل إلى صنعاء العاصمة إلا بعد أن أذن لنا الإمام ، وهو الوحيد الذى يصدر إذن الانتقال من جهة إلى أخرى ، وقيل لنا إنه كان مريضا طول الفترة التى قضيناها بالحديدة فلم يأذن لنا بالانتقال من الحديدة إلى صنعاء إلا بعد تمام شفائه ووضع السيد القاضى سيارته وهى – السيارة الوحيدة الموجودة فى الحديدة – تحت تصرفنا وأخذنا معنا زلعة الماء المقطرة ورافقنا بالسيارة الأستاذ مصطفى الشكعة وحرمه وكان منتدبا للتدريس باليمن وسلكت السيارة الطريق الجبلى الوحيد الذى يربط الحديدة بالعاصمة وكانت تواصل السير نهاراً وتتوقف ليلا ونبيت فى العراء عملا بنصيحة الجنرال طومسون فلم ندخل أى قرية صادفناها فى الطريق ، والطريق فوق الجبل كثير الدوران يتسع بكل صعوبة ومع الحذر الشديد لمرور سيارتين متقابلتين بل إذا صادف وتقابلت سيارتان كان على إحداهما أن تتوقف تماما عن السير وتبقى فى مكانها حتى تمر الأخرى من جانبها بسلام .

**استقبالنا خارج العاصمة :**

وبعد ليلتين ظهرت صنعاء بمبانيها البيضاء فى منظر جميل خلاب وكان فى استقبالنا خارج العاصمة وفد من الأهالى على رأسهم وزير الخارجية السيد الكبسى الذى زار مصر من قبل وكان يعرف بيننا بالوزير الصامت لقلة كلامه .

نزلت أنا وصديقى الدكتور حسن إسماعيل ضيفين على الحكومة بدار الضيافة لمدة ثلاثة أيام حسب العرف المتبع ، وكان ضيف الشرف الذى لازمنا طول مدة إقامتنا السيد الكبسى وزير الخارجية ، وكنا موضع الحفاوة والتكريم ، وبعد انقضاء الثلاثة الأيام جاءنا إذن الإمام بمقابلته فى قصره .

وذهبنا إلى القصر فى الميعاد المحدد بصحبة السيد الكبسى ، والقصر مبنى بالحجارة على الطراز التركى وبمدخله ساحة فسيحة مكشوفة مواجهة للداخل وأول ما يقابل الداخل رجال الحرس يجلسون على كنبة قديمة من خشب ويلبسون ثياباً مهلهلة ويتسلحون ببنادق قديمة ، ومما لفت نظرى أنهم لم يتحركوا من مكانهم بل بقى بعضهم جالساً وبعضهم منبطحاً فى جلسته وكلهم يمضغون القات ولم يؤدوا واجب التحية المفروض فى مثل تلك المناسبة ومعنا وزير خارجيتهم .

صعدنا إلى الطابق الأول ودلفنا إلى حجرة صغيرة بسيطة فى مظهرها مغطاة أرضيتها بالسجاد

ووجدنا الإمام مضطجعاً فى جلسته يتصدر المكان ومن حوله وزراؤه يجلسون على شلت من حرير وأخذنا مكاننا أمامه بعد أن حيياه ووزراءه بتحية الإسلام . واعتدل فى جلسته ورد التحية هو والوزراء . والإمام يحيى كما رأيته بدين واسع العينين على كثير من الذكاء والدهاء ، وبه بقية من فتوة الصبا . وبدأ الإمام عند الترحيب بنا يناقشنا فى موضوع الشركة التجارية الذى جئنا إلى اليمن من أجله ، وسألنا فيما شاهدناه فى زيارتنا لجبل السليط (جبل الملح) والميناء حوله وما دار من مناقشات فى اجتماعاتنا مع التجار والأعيان وعما وصلنا إليه من نتائج مما دلنا على أنه ملم بكل حركاتنا وسكناتنا من وقت أن وطأت أقدامنا أرض اليمن وأبدى ارتياحه لما سمع وتمنى لنا التوفيق فى مهمتنا وصادفت زيارتنا هذه انعقاد مجلس الوزراء – ولعل ذلك كان مقصودا وكان رئيس الوزراء يجلس على يمين الإمام ويجواره أمين سر المجلس وأمامه بعض الأوراق وخاتم الدولة ومن حول الإمام فى شكل نصف دائرة الوزراء وكلهم يمضع القات بلا حرج وتفضل الإمام وسمح لنا بالبقاء والمجلس منعقد ودخل أثناء انعقاد الجلسة أحد السعاة وسلم كاتم السر بعض الأوراق ملفوفة على شكل عش النمل الذى يلعب به أطفالنا أو الحجاب الذى يكتبه المنجمون ، فأخذ يفضها ثم عرضها على رئيس الوزراء الذى تصفحها وعرضها بدوره على الإمام الواحدة تلو الأخرى وألقى عليها الإمام نظرة وردها لرئيس وزرائه الذى أشر عليها لتحويلها إلى الوزير المختص وردها ثانية إلى كاتم السر الذى لعقها بلسانه ووضع عليها خاتم الدولة وعاد فسلمها للوزير المختص الذى لم يكلف نفسه عناء النظر إليها ودسها فى ردائه . وبذا تكون الرسائل الواردة أخذت خط سيرها واستأذنا فى الانصراف فسمح لنا الإمام مكرراً شكره على اهتمامنا بمشروع الشركة وتمنياته بالتوفيق .

**اجتماعنا بسيوف الإسلام والأعيان والتجار :**

وكان الكبسى نشطا لازمنا كظلنا ولم يفارقنا إلا قليلا وقت استراحتنا فى الظهيرة بعد الغداء وفى المساء بعد تناول العشاء . هيأ لنا الاجتماع غير مرة بسيوف الإسلام والأعيان والتجار لنتدارس معهم المشروع ونتبادل الرأى ونرسم الخطط للدعوة له . وهيأ لنا زيارة قصر الإمام الصيفى خارج صنعاء وهو أيضاً مبنى على الطراز التركى تتوسطه نافورة جميلة . . وتحيط به حديقة غناء ويقع فى بقعة هادئة بعيدة عن الضوضاء ، وعلمنا أن الإمام يقضى فيه بعض الوقت كلما أحس بحاجته إلى الراحة والاستجمام . ورافقنا الكبسى فى جولة فى سوق المدينة وهو يشبه سوق تحت الربع عندنا بطرقاته الضيقة وحوانيته الصغيرة ، وزرنا معه المدرسة الابتدائية الوحيدة بالبلد ، ومر بنا على أسوار السجن الرهيب المخصص لرهائن الإمام من مناهضيه وأبنائهم وذويهم ويسر لنا دخول الحمام التركى بصنعاء وهو فسيح

الأرجاء مصمم بطريقة هندسية بديعة ؛ فمتى دخل الإنسان من بابه الخارجى صادفته ردهة كبيرة للاستقبال والاستراحة وتوصل إلى حجرة لخلع الملابس ، ومنها إلى حجرات الاستحمام الواحدة تلو الأخرى مجهزة بالمياه البادرة والمغاطس الساخنة بحيث تتدرج فيها الحرارة وكمية البخار تصاعداً حتى لا يقبل الداخل السخونة دفعة واحدة . وسعدنا بأخذ حمام ساخن وقام عمال الحمام بخدمتنا وتدليكنا بطريقة ممتازة .

والوسيلة الوحيدة للانتقال فى اليمن هى الدواب وليس باليمن سوى طبيب واحد إيطالى خاص بالإمام ، رغم أن الأمراض المتوطنة تفتك بالشعب المسكين البائس المحروم .

ولم يفت الكبسى أن يروح عنا من عناء اللقاءات المتعددة مع سيوف الإسلام والأعيان والتجار ، فكان يخرج بنا من وقت لآخر إلى المزارع سيراً على الأقدام لنستمتع بالطبيعة حيث الحقول الخضراء والسماء الصافية والهواء العليل .

**رى الأراضى الزراعية :**

لقد شاهدنا الطريقة التى تروى بها الأراضى الزراعية باليمن ، فالأرض هناك تزرع بطريقة المسطحات المدرجة بانحدار خفيف وتروى بالمطر بحيث إذا سقط الماء وعم السطح الأعلى للأرض المنزرعة انحدر الفائض منه إلى السطح الذى يليه ، وهكذا حتى يصل إلى السطح الأدنى ، واليمن تزرع البن بكثرة وهو المحصول الرئيسى بها يفيض عن حاجة البلاد وتصدره إلى الخارج .

**وضع المسلمين :**

ولم يفتنا نحن أن ننتهز فرصة ملازمة الكبسى لنا ونتحدث معه فى مختلف شئون وأوضاع العالم الإسلامى من اجتماعية واقتصادية وسياسية بصفة عامة وأوضاع اليمن وأسباب تخلفها ووسائل العلاج . العاجلة منها والآجلة والممكنة منها حالياً وطرق تنفيذها والمتعذر تنفيذها وطرق تذليلها بصفة خاصة ، وقد تبين لى أنه على دراية واسعة بها ، وتآلفت قلوبنا وتبادلنا الثقة ، فجاهرت له برأيى بأن الأوضاع فى بقاع العالم الإسلامى تكاد تكون متقاربة لأن العلة الأساسية فيها جميعاً واحدة . وهى الغفلة التى جعلتها متخلفة وسيرتها لقمة سائغة للطامعين وبان العلاج فى نظرى أن يبدأ المصلحون وهم لا يخلو منهم قطر ولو أنهم قلة — برد قومهم إلى الإيمان والعمل والأخذ بأسباب المنعة والعزة والقوة وإزالة ما ران على القلوب وما غشى الأبصار ليعود المجتمع الإسلامى بالقرآن والسنة عزيزاً كما كان فى صدر الإسلام ، وتجاوبنا وازداد اطمئنان الكبسى إلينا فجرى على لسانه مرة ونحن نسير الهوينى بين المزارع

خارج المدينة فى جو صاف بديع أن باليمن شباباً واعياً ومنهم من حظى بزيارة مصر وتأثر بنهضتها يألم للأوضاع الفاسدة القاتلة التى طبعت الشعب بالتخلف والفقر والذل والجهل ، وأن ذلك الشباب يتملكه شعور جارف بضرورة تغيير تلك الأوضاع السقيمة والتى يردها أصلا لمظالم واستبداد وانحراف العائلة الحاكمة ، ثم لضعف واستكانة وقلة حيلة الشعب المنكوب المسلوب الإرادة .

**رغبتنا فى اللقاء :**

وكان من أعز الأمانى أن ألتقى بإخوان مجاهدين فى الأقطار الإسلامية لطرح الآلام وتبادل الآمال وتنسيق النضال ، فانتهزت تلك الفرصة الذهبية وخشيت ألا تتكرر لقصر مدة بقائنا باليمن وأبديت الرغبة ملحاً على الكبسى (أن يتفضل ويهيئ لنا فرصة اللقاء) بذلك الشباب الناهض المتحفز والتعرف عليهم والتحدث إليهم ، فتلك فى نظرى مهمة لا تقل شأنا عن مهمة تكوين شركة تجارية تربط بين مصالح مصر واليمن .

**الجلسات المسائية المغلقة :**

وكان الكبسى لبقاً وأعتقد أن رغبتى صادفت هوى من نفسه إذ ما لبث أن يسر لنا لقاءات مسائية مغلقة بدار الضيافة مع الفريق المختار من هؤلاء الشبان وهم كما علمنا بعد زعماء حركة التحرير ، وكانت تلك الاجتماعات تمتد أحيانا إلى ما بعد منتصف الليل بحضور الشيخ الفضيل الورتلانى وهو موضع ثقتهم .

**إحساسنا بتدبير الشباب للقيام بانقلاب :**

وأحسسنا من المناقشات التى تناولت الموقف بالشرح من جميع نواحيه بما يجيش فى صدور ذلك الشباب الثائر – من أن الإناء قد فاض وأن الرءوس قد أينعت وحان قطافها ، ولم يبق فى قوس الصبر منزع وأنه عقد العزم على التحرك وعلمنا أن هناك أمراً خطيراً يدبر فى الخفاء للقيام بانقلاب منتظر يسنده بعض الشخصيات البارزة مثل الكبسى وزير الخارجية والزبير رئيس الوزراء للإطاحة بالإمام يحيى وعائلته وبطانته .

وحركت تلك الآمال النبيلة وذلك الهدف السامى مشاعرى وانتهزت بدورى الفرصة الذهبية التى لا تعوض وقد لا يجود الدهر بمثلها ، فاستأذنتهم بأن يسمحوا لى بأن أدلى بدورى فى الدلاء إشفاقاً منى على ذلك الشباب اليانع الناهض أن تكون غلبت عليه العاطفة أو ضاق ذرعا بسوء حال وضعه ووضع

مواطنيه فتعجل وارتجل جرياً وراء فكرة عاجلة قد لا تؤمن عقباها فيضيع الشباب وتضيع الفكرة التى يجاهد من أجل تحقيقها فوفقنى الله لنصحهم وتمثلت قول الشاعر العربى :

لا خيل عندك تهديها ولا مال فلينفع النصح إن لم يغنك الحال

**ما وفقنى الله فى نصحهم :**

وتساءلت فى تلطف أريد لفت نظرهم إلى أمور أراها بالتجربة من الضرورة بمكان عما إذا كان لم يفتهم درس الموقف من جميع جوانبه ورسم خطة العمل على نحو وترتيب سليم بالبدء بتحديد الهدف والغاية بوضوح لا غرض فيه ، ثم فهم كل فرد منهم فهما صحيحا لما هو منوط به ، ويتبع ذلك الفهم الإيمان الكامل بالرسالة التى عقد العزم على القيام بها والجود بالنفس والمال فى سبيل تحقيقها على أن يبدأ كل منهم بنفسه وأن يسلك السبيل السوى بالخلق الكريم متحرراً من المن والغرور وحب الظهور ، هذا مع حرص المجموعة على التضافر والاتحاد وتحاشى الفرقة والانقسام وأن تكون فى خطواتها يقظة وعلى حذر من الخصم والأعداء والتعرف أولا فأول على قدراتهما فى الداخل والخارج وإعداد القوة معنوية ومادية مع الصبر والثبات إذ لابد للحق من قوة تسنده ، وأخيراً عدم استعجال الثمرة وعدم الارتجال مع الاعتماد على النفس بعد الله القوى العزيز

**تقديرهم للنصح واظهارهم الرغبة فى اتباعه :**

وصادف ذلك النصح الموجز والتوجيه المجمل فى صورة تساؤل هوى فى نفوسهم حتى ظفرنا فى ختام الاجتماع بوعدهم بأن يكون كل ما أثير محل اعتبار وتقدير مع توكلهم على الله العلى القدير ، واستبشر الكل خيرا بإذن الله .

**الإذن بالعودة :**

وفى ١٩٤٨/٢/١٤ طلبنا من الإمام الإذن لنا بالعودة إلى ديارنا وأذن لنا ، وقد انتهينا من وضع مشروع عقد الشركة ، وودعنا القوم وعلى رأسهم الكبسى بمثل ما قوبلنا به من حفاوة وإكرام وحب وإخاء ، ولم نكد نعود إلى القاهرة حتى طيرت الأنباء خبر اغتيال الإمام يحيى ، فرجحنا أن المرجل كان يغلى وقت أن كنا باليمن ولم يفعل نصحنا بالشباب الثائر فعله فغلبت عليهم العاطفة وتعجلوا وارتجلوا . وهذا ما خشيناه وحسبوا أن المقصود هو التخلص من ذات الإمام دون تقدير لأبعاد المعركة وإعداد لها بعد التخلص منه من وضع نظم وقوانين تم حماية الانقلاب من أية حركة مضادة فى الداخل

والخارج ، ظنوا أن فى قتل الإمام الكفاية فأعطوه كل همهم وغفلوا عن باقى مراحل الرسالة فخسروا الجولة ودارت الدائرة عليهم وعلى من ساندهم .

ولم نسلم فى مصر من الشائعات بأنى والفضيل الورتلانى والدكتور حسن إسماعيل كان لنا ضلع فى إلهاب شعور اليمنيين وحضهم على قلب النظام وتحريضهم على التخلص من الإمام وأسرة حميد الدين .

صحيح أن الإمام يحيى قتل وتخلصت منه اليمن ، ولكن الانتقام من قتلته كان مروعا ووحشيا على يد خلفه الإمام أحمد ابنه الذى أعمل القتل والتعذيب والتمثيل والحبس فى كثير من الضحايا ، ومنهم الكبسى وابن الزبير وغيرهم من رجالات اليمن ، وقبض الإمام أحمد على ناصية الحال بيد من حديد وقضى على كل أمل فى الإصلاح فكان لابد من بدء النضال الوطنى من جديد بدم جديد وعقل جديد وهذا يتطلب الكثير .

**رأيى فى كيف تتحقق الآمال :**

وكانت تلك النكسة درساً قاسياً ومفيداً فى نفس الوقت إذ تعلم منهم من نجا من الشباب ومن يأتى من بعدهم أن السخط والعواطف ما هى إلا مجرد مقدمات يجب أن تتحول مع الزمن بالفهم الصحيح والإيمان القوى والتخطيط السليم والعمل الدائب الصامت والإعداد القوى مع الصبر والثبات وقوة الإرادة وحسن القدوة ، إلى ركائز لتحقيق الأهداف السليمة ، وأن الصياح والعويل والكلام والسخط والارتجال لم تكن يوما من الأيام أدوات تحقيق الآمال والأحلام .

**عبد الله الزبير :**

لقد كانت زيارتى لليمن هادفة مليئة بالعبر مفيدة لمن يعتبر

قتل الإمام يحيى فى ٤٨/٣/١٧ برصاص الثوار وهو يتنزه خارج صنعاء ، ونودى بعده بعبد الله ابن الزبير رئيس الوزراء إماما الذى أبدى عزمه على أن يسير بالإمامة سيرة جديدة صالحة .

ولكن ولى العهد أحمد لم يترك له الفرصة ولم يمهله بل اعتصم ببلدة حجه وقلب عليه رجال القبائل المحيطة بصنعاء وأغراهم بالمال وحرضهم على اقتحام العاصمة وسلحهم وأحل لهم كل ما فيها من غنائم وأموال لينهبوها فلم ينعم ابن الزبير بالاستقرار وسقطت صنعاء فى ٤٨/٣/١٤ وبلغ أحمد مناه واعتقل ابن الزبير ونقله إلى حجه وأعدمه ضربا بالسيف فى ٤٨/٤/٣ وتولى أحمد الإمامة واتخذ تعز مقرا له وسار سيرة أبيه يحيى بل أشد فى البطش والقهر والظلم والاستبداد فأخذ يطيح بالرؤوس ويعذب

ويسجن الأبرياء ويخرب القرى حتى فاض الإناء وتعرض للاغتيال أكثر من مرة وكان يفلت وينجو فى كل مرة بفضل عيونه وجواسيسه المنتشرين فى كل مكان شأن كل ظالم جبار.

فكان يكشف المؤامرة قبل وقوعها فيقبض على كل من يشتبه فيهم ويأمر بقطع رقابهم علناً أمام المسجد وبحضوره بعد صلاة الجمعة إمعاناً فى البطش والانتقام والإرهاب.

**محاولة اغتياله فى قصره وتمكنه من الهرب :**

وتمكن بعض الثائرين مرة ومعهم قائد الجيش من دخول القصر عليه لقتله إلا أن العاطفة غلبت عليهم فلم يقتلوه واكتفوا باعتقاله فى القصر تحت حراسة شديدة ، وذلك فى رأيى ضعف وقصر نظر ونادوا بشقيقه عبد الله إماماً لكن أحمد الداهية الجبار اعتزم الهرب وبدهائه وماله استمال حرس القصر وكسبهم فى صفه واتصل عن طريقهم بأنصاره فى الخارج لمعاونته ، وتمكن فعلا من الهرب وقبض ثانية على ناصية الحال ونادى به أعوانه إماما فبادر بذبح شقيقه عبد الله وشقيقه العباس وقائد الحرس.

**إطلاق الرصاص على أحمد :**

إلا أن نقمة الشعب كانت له بالمرصاد ، فتحين ضابطان الفرصة وأطلقا عليه الرصاص فأصاباه إصابة خطرة ، إلا أنه لم يمت فى حينه ومات بعد ذلك فى ٦٢/٩/١٩ متأثراً بجراحه.

وتولى الإمامة من بعده ولى عهده محمد البدر وأعلن أنه سيسير على نهج والده متحدياً شعور أمته فلم يلبث فى الإمامة أسبوعا حتى هاجمه الثوار فى ٦٢/٩/٢٦ فى قصر البشائر مقر حكمه ودكوا القصر على من فيه وتمكن البدر من الهرب بعد أن تخفى فى زى امرأة وتسلل من باب خلفى.

وتمت الرواية بزوال حكم الإمامة وعائلة حميد الدين وبدأت ثورة الشعب الهادرة تشق طريقها بزعامة عبد الله السلال. وفى هذه النبذة عظة وذكرى للذاكرين

## سفرى إلى الأراضى الحجازية

سافرت إلى الأراضى الحجازية فى سنوات ١٩٤٥ و١٩٤٨ و١٩٥٤ و١٩٦١ لأداء فريضة الحج ويصحبنى فى كل مرة زوجتى الحاجة عزيزة وفى آخر مرة اصطحبنا ابنتنا عائشة كبرى بناتى التى كتب عليها أن تؤدى معنا الشعائر وهى بين الحياة والموت لإصابتها بحمى التيفود التى أنهكت قواها ولكن الله سلم.

وفى سنة ١٩٤٨ بلغت موجة الحر ذروتها ومات الكثير من الحجاج بضربة شمس وأصيبت زوجتى

بها وعرضتها على الدكتور محمد الحداد الذى كان من فضل الله موجوداً معنا وهو ابن الشيخ إسماعيل الحداد صديق قديم لنا فاهتم بها كل الاهتمام وشخص المرض وأسعفها بالعلاج اللازم وكتب الله لها الشفاء .

وفى سنة ١٩٥٤ أصبت أنا بضعف عام وهبوط شديد واشتد بى المرض ونحن فى المدينة المنورة لزيارة الرسول ﷺ حتى لزمت الفراش ولم أقو على الصلاة فى الحرم إلا قليلا .

وفى سنة ١٩٦١ وفقنى الله إلى كتابة الرسالة المرفقة التى رفعتها إلى عاهل الحجاز وكانت وسائل العناية بالنظافة والرعاية الصحية أخذت تشق طريقها للعمل على راحة الحجاج وتبعث الأمل فى مضاعفة الجهد لحياة أفضل للحجاج وأهل البلاد .

رسالتى إلى عاهل الحجاز فى حج ١٩٦١ ، ببعض المقترحات :

## بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد العزيز على وزير الشئون البلدية والقروية سابقاً بمصر إلى عاهل المملكة العربية السعودية .

السلام عليكم ورحمة الله . . . وبعد

فما لا شك فيه أن الحكومة السعودية بفضل توجيهاتكم الحكيمة لاتألو جهدا فى توفير وسائل الراحة والرعاية الصحية لحجاج بيت الله الحرام . وأنها خطت فى سبيل ذلك خطوات موفقة توختها بإصلاح وتوسيع الحرمين وتنظيم السعى بين الصفا والمروة فاستحقت من الحجاج عميق الشكر ومن الله حسن الثواب .

ولقد رأيت لزاما على كمسلم أدى فريضة الحج أربع مرات فيما بين سنة ١٩٤٥ وهذا العام ، ولمس ثمرة الجهود المتواصلة المبذولة لراحة الحجاج أن أتقدم ببعض ما عنّ لى من آراء والأمل يملأ قلبى فى أنها ستكون بإذن الله موضع الرعاية والتنفيذ فى حدود الإمكانيات وبقدر ما تسمح به الظروف خدمة لصالح المسلمين ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها .

**١ – تكوين هيئة تضم مندوبا أو أكثر من كل قطر إسلامى :**

كثير من الحجاج يضل الطريق بعرفات أو منى ولعدم معرفتهم اللغة العربية لغة القرآن لا يسهل عليهم التفاهم مع الغير لمعرفة الطريق إلى خيامهم وقد يمر اليوم كله دون الاهتداء إلى مقرهم . وقد يكون منهم المرضى – والمحتاجون إلى إسعاف طبى .

وحبذا لو اتجه التفكير إلى تكوين هيئة تمثل الدول الإسلامية ، وحبذا لو روعى فى التشكيل أن يكون مندوبوها ممن يعرفون اللغة العربية بجانب لغة بلادهم الأصلية ويعرفون أيضا إحدى اللغات الأجنبية المنتشرة الاستعمال كالإنجليزية والفرنسية وتخصص لتلك الهيئة مكاتب تتخذها مقرا لمندوبيها فى عرفات وفى منى على الخصوص على غرار مكاتب الاستعلامات يقصدها الضال أو ذو الحاجة فيجد فيها من يتفاهم معه بلغته . وسيقضى إنشاء مثل تلك الهيئة وما يتبعها من مكاتب على كثير من متاعب الحجاج وقلقهم وضياع وقتهم . وحبذا لو تم بجانب هذا تثبيت لافتات على الطريق بعدة لغات لترشد إلى أهم ما يحتاج إليه الحاج كأماكن المساجد والبعثات الطبية . . . الخ .

**٢ – تنظيم الإحسان :**

كثير من المحسوبين على هذا البلد الأمين – ولا أحسبهم إلا من المستوطنين الوافدين إليه من الخارج – يمدون أيديهم فى مهانة يطلبون الصدقة وأغلب الظن أنهم من محترفى التسول . ويحتال معظمهم فيلبسون الملابس المهلهلة ليستدروا بها العطف ويوهموا الناس بأنهم فقراء يستحقون الصدقة . وهذا مشهد غير كريم لا يتفق وما ينشده الإسلام للمسلم من عفة وعزة نفس واليد العليا خير من اليد السفلى . ولا شك فى أن إعطاء الصدقة لأمثال هؤلاء فيه تشجيع لهم ولأمثالهم على المضى فى الاستجداء والركون إلى الخمول والكسل .

وحبذا لو اتجه التفكير فى التخلص من تلك الفئة العاطلة بتوجيهها إلى عمل مثمر يفيدها ويفيد البلاد وذلك بإنشاء هيئة من أهل الأمانة وحسن التصرف مسجلة لدى الحكومة لجمع مال الصدقات لصرفها على من يستحقها من العائلات الكريمة والأفراد ممن أخنى عليهم الدهر ولا يسألون الناس إلحافاً تحسبهم أغنياء من التعفف .

وحبذا لو قام على الصرف هيئة تختص ببحث حالات السائلين المحتاجين وكتابة تقارير عنها وعلى أساسها تحدد قيمة الصدقة . وبهذا نضمن حسن جمع المال وحسن توزيعه والقضاء قدر الطاقة على احتراف التسول فتطهر البلاد من المتسولين ويؤتى الإحسان المنظم ثمرته .

٣ – وفقت الحكومة أيما توفيق فى توفير المياه والثلج والمثلجات بعرفات ومنى مما يطمعنى فى أن تواصل جهودها المشكورة وتبادر بتعبيد الطريق ورصف الشوارع ما بين جدة ومكة وعرفات ومنى والمدينة المنورة وغرس الأشجار على جانبيها وتوفير الاستراحات والمظلات وإنشاء دورات المياه المبنية مع تخصيص جزء منها للرجال وآخر للسيدات مع إحاطتها ببعض الأشجار لتقى الحجاج من حرارة الشمس ومطر الشتاء .

**٤ – الإفادة من الأضحية :**

المشاهد إلى الآن أن الحجاج يتركون الأضاحى بعد ذبحها ملقاة فى الطرقات وخصوصا فى منى بشكل تتأفف منها النفس وتنفر من رؤيته العين وتفوح منها رائحة كريهة وبسبب تركها على هذا الحال انتشار الأمراض .

وحبذا لو عدنا إلى التفكير فيما سبق التفكير فيه للإفادة من الأضاحى : لحومها ودماؤها وأصوافها وأوبارها وعظامها على الوجه النافع ، فتخصص للذبيح أماكن خاصة تجهز بمجارٍ وقنوات للدم يجمع فيها ليستخدم فى بعض الصناعات وتجمع العظام وجلود الأضاحى للإفادة منها أيضا فى المشروعات الصناعية . أما اللحوم فيصح أن تتولى جمعها وتوزيعها نفس الهيئة التى أشرت إليها فى البند الثانى والتى تتولى توزيع حصيلة صندوق الإحسان وما يفيض يمكن الإفادة منه أيضا بصناعة اللحوم المحفوظة ، وهذا كله يستدعى بناء المصانع وتوفير الأيدى العاملة والإفادة من الفنيين لإقامة المصنوعات المختلفة التى ستكون ولاشك مورد ثروة جديدة لخير البلاد والعباد ووسيلة لخدمة العاطلين . ولو شاءت الحكومة لتوفرت أجهزتها المختلفة على درس المشروع تفصيلا وطرحه فى مناقصة عامة فقد تقوم من بين الموسرين رجال الأعمال شركة أو شركات لاستغلال بعضه أو كله .

وأعتقد أن همة حكومة جلالتكم المستمدة من همتكم سوف لا تألو جهدا فى البدء فى درس وتنفيذ تلك المشروعات الهامة باهظة التكاليف طويلة الأجل .

ولا يفوتنى أن أنتهز هذه الفرصة الطيبة وأهنى جلالتكم والأمة الإسلامية بالعام الهجرى الجديد وأدعو لكم بطول العمر مع موفور الصحة ودوام التوفيق – فى خدمة الإسلام والمسلمين ، والله ولى التوفيق وهو نعم المولى ونعم النصير .

أول محرم ١٣٨٢ — عبد العزيز على

١٥ يونيه ١٩٦١

# سفرى إلى القدس

سافرت إلى القدس يوم ٧ ديسمبر ١٩٥٣ لحضور المؤتمر الإسلامى الشعبى الذى انعقد بها بإذن صدر به قرار من مجلس الوزراء الأردنى وبدعوة من المكتب الدائم للمؤتمر المكون من سبعة أعضاء هم السادة :

١ – محمد محمود الصواف رئيس الأخوة الإسلامية فى العراق

٢ – محيى الدين القليبى الزعيم التونسى

٣ – محمد عبد الرحمن خليفه المراقب العام للإخوان المسلمين فى الأردن

٤ – سيد قطب الكاتب الإسلامى المعروف

٥ – الفضيل الورتلانى الزعيم الجزائرى

٦ – كامل الشريف قائد متطوعى الإخوان المسلمين فى معركة فلسطين

٧ – سعيد رمضان عضو مكتب الإرشاد للإخوان المسلمين فى مصر وصاحب مجلة «المسلمون» التى يصدرها بالقاهرة

وحضر المؤتمر وفود من أكرم شخصيات العالم الإسلامى وبلغ عدد المندوبين عن الشعوب الإسلامية ٧٥ مندوباً . وكنت أنا مندوب جماعة الكفاح لتحرير الشعوب الإسلامية بمصر وحضر معى رئيسها الشيخ عبد اللطيف دراز وسكرتيرها جمال عرفات شقيق ياسر عرفات والأمير الصينى الثرى مابوفان عضو الجماعة .

وحضر عن الشبان المسلمين رئيس الجمعية صالح باشا حرب وفى صحبته الشيخ أحمد الشرباصى وعن الجزائر فضيلة الفضيل الورتلانى وعن الإخوان كامل الشريف وسيد قطب وسعيد رمضان . وعن الأردن محمد عبد الرحمن خليفة المراقب العام للإخوان المسلمين بها وعن العراق محمد محمود الصواف رئيس الإخوة الإسلامية بها وعن تونس محيى الدين القليبى الزعيم الدينى بها .

عقد المؤتمر عدة جلسات بصالة أحد فنادق القدس اتسمت كلها بالوعى والحيوية وتناول الأعضاء فيها القضية الفلسطينية من جميع نواحيها الاجتماعية والاقتصادية والعسكرية والسياسية وشرحوا العلة ووصفوا العلاج . وتلاقت كلمتى التى ألقيتها مع كلمات السادة الأعضاء المندوبين فيما يمكن تلخيصه فى الآتى وكان موضع موافقة الجميع وصيغ فى شكل قرارات :

١ – إن قضيتنا عادلة وإننا أصحاب حق وإننا ضحية غدر وعدوان الصهيونية والاستعمار والعملاء .

٢ – إن كفتنا ستكون بإذن الله هى الراجحة ما سلكنا الطريق المستقيم ومهما طال بنا الزمن واشتد الكفاح

٣ – إن نكبتنا فى ضعفنا – روحا ومادة – وتمزيق شملنا وتضييع وقتنا فى الكلام والخطب الحماسية والتغنى بالماضى وترديد الأمانى والارتجال ورفع الشعارات وكلها لا ترد حقا مغتصبا ولا ترهب عدواً وهى معاول هدم لا أسلحة نضال . ولا يفضى الركون إليها والاكتفاء بها إلا إلى الخذلان لو لم تتغير المفاهيم وأساليب الجهاد .

٤ – إن صلاح حالنا وكسب قضيتنا وضمان فوزنا فى الدنيا والآخرة هى فى عودة الجميع من جديد – حكاماً ومحكومين – إلى شريعة السماء التى هجرناها ففقدنا حجر الأساس فى الأمن والسعادة والمحبة والإخاء والسلام . فقدنا الإيمان بوحدانية الله فخسرنا الدين والدنيا معاً .

٥ – ولا مفر من الإسراع فى تغيير ما بأنفسنا وفى اليقظة من غفلتنا وطرح أسلحة الضعف والخذلان والأخذ بتخطيط علمى مدروس وأخذ القضية مأخذ الجد وبذل الروح والجهد والمال لاسترداد الحق المغتصب والذود عنه وعن العزة المفقودة والكرامة المهدرة .

٦ – هذا فضلا عن قرارات هامة أخرى اتخذت فى جلسة سرية رؤى للمصلحة العامة عدم إعلانها .

٧ – وضع المؤتمرون الأمل الكبير فى متابعة المكتب الدائم للمؤتمر تنفيذ القرارات ومواصلة رسالته العظيمة وتنظيم الدعوة لمؤتمرات إسلامية دورية تسير بالقضية فى مسارها البناء السليم

وكان أن دعا الملك حسين ملك الأردن وفود المؤتمر لتناول الغداء معه فى قصره بعمان وقبلنا الدعوة ، وكان مما لفت نظرى وأذكره بالإكبار والإجلال والتقدير لفضيلة العالم الجزائرى الكبير الشيخ البشير الإبراهيمى وكان مكانه على مائدة الطعام بجوار الملك – أنه أبى أن يتناول من الطعام شيئاً لأنه لاحظ أنه مقدم لنا فى صحاف من الذهب مما لا يرضاه الشرع ، فكان تصرفه هذا فى حضرة الملك لفتة كريمة منه وقدوة حسنة للجميع .

وكان ضمن البرنامج زيارة مخيمات اللاجئين فزرناها ووقفنا عن كثب على ما هم فيه من بؤس وتعاسة وحياة أقرب إلى حياة الحيوان منها إلى حياة الإنسان .

ولمسنا فى نفس الوقت ما قام به المكتب الدائم للمؤتمر من جهد مشكور رغم قصر عمره وضآلة موارده من تعبئة للجهود الشعبية حفاظاً على الروح المعنوية وإقامة تحصينات دفاعية فى القرى الأمامية

واهتمام بمناهج التربية والتدريبات العسكرية ، وإيفاد بعثة من أعضائه السادة على طنطاوى وأمجد الزهاوى ومحمد محمود الصواف إلى أقطار الشرق الأقصى لتنظيم جمع المال لشراء السلاح وإيفاد بعثة أخرى إلى موسم الحج مزودة بمطبوعات لتوزيعها بالمجان لتذكير المسلمين بواجبهم الدينى نحو القضية الفلسطينية ، وأول الغيث قطر ثم ينهمر ، ومما يؤسف له أشد الأسف أن فكرة المؤتمر الإسلامى الشعبى القائم على جهود الشعوب لم تقابل من الحكومات الإسلامية ومنها حكومة مصر بالرضا والعون والمساندة بل حوربت بشتى الوسائل ، لا لشىء إلا أن الداعين لها والقائمين بها هم من رجال الإخوان المسلمين وأكرم شخصيات العالم الإسلامى فكرا وغيرة وعملا .

## سفرى إلى غزة

١٩٥٣/١١/١٢ - ٥٣/١٠/٢١

بتصريح من سلاح الحدود فى ٥٣/١٠/٢٠ لمدة شهر سافرت إلى غزة لزيارة نجلى دكتور على عبد العزيز مدير المستشفى الأهلى بها ولانتهاز فرصة وجوده لزيارة مخيمات اللاجئين وتفقد أحوالهم للمرة الثانية فوجدتهم كما هم فى حالة يرثى لها تفتت الأكباد ، إذ يحشرون حشراً فى حجرات ضيقة لا تتوفر فيها أى وسيلة من وسائل الراحة ولا يدخلها ضوء شمس ولا نسمة هواء ، يفترشون الأرض ولا يطعمون إلا الفتات من المعونة الأمريكية . يقاسون آلام الجوع والمرض والجهل والحرمان ، أجسادهم هزيلة وصحتهم عليلة وحياتهم حياة بؤس وشقاء ، وهم يموتون ببطء وإن اعتبروا تجاوزا أنهم أحياء ولا حول ولا قوة إلا بالله .

## سفرى إلى غزة

٥٤/٦/٢٣ - ٥٤/٦/١٩

وفى هذه المرة سافرت إلى غزة بتصريح من إدارة الحاكم الإدارى العام لمدة عشرة أيام وكان معى الأخ عبد القادر بك مختار عضو مجلس إدارة الشبان المسلمين موفداً من الجمعية لمقابلة حاكم غزة العسكرى اللواء عبد الله رفعت وعرض طلبها عليه الخاص بمنحها قطعة أرض لإنشاء فرع للجمعية عليها ، وكنا موضع حفاوة وتكريم ، وقوبل الطلب باهتمام زائد وتفضل وعاين معنا بعض الأراضى الفضاء وطلب منا ترك الموضوع له بعض الوقت لاختيار المكان المناسب مؤملا التوفيق بإذن الله ،

وعدنا فى ٥٤/٦/٢٣ نرقب ما سيأتى به الغد وما التوفيق إلا بالله .

هذا وأختم الجزء الأول من مذكراتى بتسجيل بعض ما كنت أصدرته من نشرات الوحدة القومية لاستقلال وادى النيل بعنوان « مصر بين شقى الرحى » مما لم تصل إليه يد البوليس فى مرات التفتيش العديدة التى تعرض لها منزلى .